كلمة المهندس خالد البلبيسي

أمين الصندوق لاتحاد الناشرين العرب

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله

بداية اسمحوا لي ان اعبر عن مدى سعادتي بهذه الزيارة التي جاءت بمبادرة كريمة من مجموعة النهر الأصفر للنشر والاعلام بمنطقة نينغشيا في جمهورية الصين الشعبية والتي تهدف ال تعزيز التعاون الثقافي والادبي بين الدول العربية وجمهورية الصين .

الصين كلمة لها وقع مميز في نفس كل عربي يعيش في الشرق الأوسط من العالم . فمنذ نعومة أظفارنا نحفظ قولا مأثورا جميلا يقول : (اطلب العلم ولو في الصين). فالصين في مخيلتنا هي أقصى مكان في العالم . وكل من زار الصين في يوم من الأيام يعتبر انسانا محظوظا وعند عودته عليه ان يخصص الكثير من وقته ليحدث الناس من حوله عن زيارته التاريخية لهذه البلاد البعيدة العجيبة يجالس الناس لساعات طويلة دون كلل أو ملل واصفا ما رآه وسمعه من عجائب وطرائف تميز أهل تلك البلاد، بدءا بأشكالهم ووجوههم وعيونهم ولباسهم وطعامهم وطريقة تناولهم للطعام وعاداتهم وفنونهم وغيرها من الامور التي تعتبر فريدة وغير مألوفة في بلادنا.

لقد دفعتني هذه الزيارة للبحث والدراسة للتعرف على حضارة وتاريخ وثقافة هذه الدولة . وقد راعني واذهلني ما وقفت عليه من حقائق ومعلومات في مختلف المجالات:

- فالحضارة الصينية القديمية إحدى أقدم الحضارات في العالم .
- والصين أسرع اقتصادات العالم نموًا حيث أصبحت أكبر دولة مصدرة في العالم وثاني أكبر مستورد للبضائع. ويعد الاقتصاد الصيني ثاني أكبر اقتصاد في العالم،
- منذ تحرير الاقتصاد عام 1978 نما اقتصاد جمهورية الصين الشعبية المعتمد على الاستثمار والتصدير،70 مرة وأصبح أسرع الاقتصادات الكبرى نمواً في العالم.
- معدل محو الأمية بين الشباب الصيني (سن 15-24) فوصل إلى 98.9%
- تمتلك الصين ثاني أكبر ميزانية للبحوث والتنمية في العالم، وهي الدولة الأكثر سكانا في العالم.
- تعد الثقافة الصينية واحدة من أقدم الثقافات الرياضية في العالم، والتي تمتد لعدة آلاف من السنين

وما شاهدناه عبر الفضائيات في دورة الالعاب الاولمبية التي عقدت في الصين مؤخرا خير دليل على ما تتمتع به هذه الدولة من امكانيات وقدرات هائلة جعلتها في مقدمة الدول الكبرى والعظمى .

ومن الواضح والبديهي ان التنمية الاقتصادية السريعة في الصين هي عامل هام في انتشار الثقافة الصينية. بعد أكثر من 30 عاما من التنمية، وقد أصبحت الثقافة الصينية بمختلف مستوياتها تؤثر تأثيرا خفيا في شتى جوانب حياة الأمريكيين.

واهتمام وسائل الإعلام الامريكية بالصين جعل الأمريكيين يحفظون أسماء الكثير من الشخصيات الصينية المشهورة. وأتضح من نتائج الإستطلاع فى الولايات المتحدة مؤخرا أن أسماء مشاهير النجوم الصينين في أوساط الأدب والفن والرياضة البدنية مثل (لانغ لانغ، وياومينغ، ومايويو) هي أسماء مألوفة لدي الأمريكيين.

ما أشرت اليه في مقدمة كلامي شدني لزيارة هذه الدولة في زيارة تختلف عن زيارات سابقة قمت بها الى الصين.

انني كمتخصص في نشر وترجمة أدب الأطفال متحمس لتحقيق الكثير في هذا المجال بين العالم العربي وجمهورية الصين.

ومما لا شك فيه ان الأدب الطفولي العالمي حقق سبقا ملحوظا على الأدب الطفولي العربي. فإذا كان الأول قد بدأ في الظهور في القرن السابع عشر- حتى وإن لم يتبلور كأدب يحمل جملة من الخصائص والمميزات إلاّ في مطلع القرن العشرين . فإنّ الأدب الطفولي العربي لم يظهر إلاّ في النصف الأول من القرن العشرين ، ثم عرف قفزة نوعية من حيث الخصائص والمميزات في نهاية القرن ذاته.

لقد ظهر هذا النوع الأدبي الطفولي في العالم الغربي، في فرنساعام1697م على يد (تشارلز بيرو) وذلك من خلال مجموعته القصصية (حكايات أمي الإوزة).حيث نشرها باسم ابنه(بيرو درمان كور) خوفا من سخط المجتمع والمثقفين على كتاباته الطفولية لكن النتيجة كانت عكس توقعاته، وهو ما شجعه على كتابة مجموعات قصصية أخرى (أقاصيص وحكايات الزمن الحاضر) . كما مهّدت هذه الكتابات إلى ظهور أول صحيفة للأطفال سنة1747 عنوانها(صديق الأطفال).

وأمّا في بريطانيا فقد تأسست بها أولُ دُور للنشر ومكتبةٌ للأطفال سنة 1744 على يد الناشر(جون نيو بري). وذلك بعدما اعتُرف بالأطفال كجمهور متميز. ومادامت اللغة الإنجليزية هي الجامعة بين الدول الأنجلوسكسونية، فإن مجموع هذه الدول قد عرفت هذا اللون من الأدب مبكرا وهذا بحكم التبعية الثقافية. حتى وإن بقي هذا الإنتاج الأدبي الطفولي البريطاني والأمريكي منغلقا على نفسه.

أما بالنسبة لباقي الدول الأوروبية مثل: ألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، وحتى دول أوروبا الشرقية ومعها الاتحاد السيوفياتي،أو لِنقُل كل الدول الاشتراكية في كل من آسيا أو إفريقيا أو أمريكا اللاتينية، كلُ هذه الدول شهدت تأخرا كبيرا في هذا اللون إذْ لم يكدْ يُذكر إلاّ مع قيام الثورة الاشتراكية.

يقول الكاتب الروسي الفذ ديستوفسكي" أقوى الذكريات وأشدها تكاد تكون دائما ذكريات الطفولة " . فالطفولة هي الأساس وكل ما يضاف هو بناء فوق هذا الأساس وإذا كانت الطفولة الأساس هشة مضعضعة فان البناء كله سيبقى هشا مضعضعا. فلا بناء بدون أساس ولا حاضر ولا مستقبل بدون ماضي. والطفولة هي الماضي الذي لايمكن دفنه , أو الهرب منه, انه في داخلنا وسيبقى في داخلنا أنى ذهبنا .

قلة هم كتاب الاطفال الذين تناولوا تاريخ الامم والحضارات القديمة، رغم أهمية هذا الجانب وضرورة تقديمه للأطفال على طبق من قصص.

اننا نلاحظ ان ادب الاطفال وثقافته في العالم العربي شهد في السنوات الاخيرة توجها شديدا نحو الادب الطفولي العالمي من خلال ترجمة الأعمال الادبية العالمية الى اللغة العربية وفي الوقت نفسه نشهد عزوفا غير طبيعي عن ترجمة الادب الطفولي العربي من اللغة العربية الى اللغات الاخرى لاسباب مختلفة سواء كانت ثقافية أو سياسية أو فنية أو تجارية. فنلاحظ ان الناشر الغربي حريص كل الحرص على التواصل مع الناشرين العرب لتسويق وبيع اصداراته ولا يفكر على الاطلاق في علاقات تبادلية للانفتاح على الثقافة العربية وما تحويه من كنوز ادبية وثقافية.

اننا من خلال هذه الزيارة التاريخية التي يشارك فيها نخبة من الناشرين العرب في مختلف التخصصات ومن مختلف الدول العربية نتطلع الى تأسيس وبناء جسور من العلاقات الوثيقة والمتبادلة تساهم في تطوير وتسهيل التبادل الثقافي والمعرفي لكلا الحضارتين العربية والصينية وبحث افضل السبل وأقصرها لتسهيل التواصل المنشود في مختلف اشكاله وتشجيع الترجمة المتبادلة خاصة في مجال أدب الأطفال. والعمل المشترك لرسم

خارطة طريق تحوي الكثير من النشاطات والفعاليات المتبادلة بين الدول العربية ومختلف المناطق والأقاليم الصينية.

إن اللغة هي حامل الثقافة. والثقافة الصينية تضم مكونات عديدة ذات مغزى حديث وقيمة عالمية .

وقد بدأت بعض المدارس والمعاهد في العالم العربي التوجه نحو تدريس اللغة الصينية كلغة ثالثة بل وكلغة ثانية في بعض المدارس الدولية . وهذا ما شاهدته في بلدي الاردن.

لقد بدى واضحا في السنوات الأخيرة اهتمام الصين بالثقافة العربية والتواصل معها وخير شاهد على ذلك افتتاح قناة صينية دولية ناطقة باللغة العربية CCtv في سبتمبر من العام الماضي والفعاليات التي كانت مقررة في جناح الصين بالدورة الثالثة والأربعين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب ، حيث كانت الصين كدولة ضيف شرف في الدورة. وبعثت الصين وفدا كبيرا مكونا من 248 ناشرا و110 دور نشر، وبما فيها المجموعة الصينية للنشر الدولي التي كانت ستعرض للقراء أكثر من 500 نوع من الكتب الصينية الممتازة بطبعات باللغات الصينية والانجليزية والعربية.

انني متفائل بهذه الزيارة القصيرة الى فتح آفاق واسعة من التعاون والتواصل الدائم والمشترك بين الناشرين من كلا الجانبين بالتنسيق والتعاون مع المؤسسات الثقافية والعلمية وغيرها.

وفي الختام اكرر شكري العميق لأصحاب الدعوة على دعوتهم الكريمة لنا واتاحة الفرصة لنا بلقائكم وتبادل الأفكار وتحويلها الى برامج عمل متواصل وبذلك تكون هذه الزيارة ناجحة بمعنى الكلمة ونستطيع ان نصفها كما أشرت سابقا بالزيارة التاريخية نفتح خلالها صفحة مشرقة من التعاون والتواصل بما يحقق للأجيال السعادة والمحبة والسلام .

لكم مني كل تحية واحترام

والسلام عليكم ورحمة الله